

## القبة والسياسة.. براغماتية أردوغان

حزب قومي يسعى إلى ضخ دماء جديدة في النزوع العثماني القديم، بل إنه من دون تلك النزعة القومية ما كان له أن يستمر في السلطة ويحصد أصوات الناخبين، وأن يفتح أهم الأحزاب القومية، وهو حزب الحركة القومية، بالتحالف معه في الانتخابات الأخيرة، بالرغم من الحروب السياسية التي حصلت بينهما في السابق.

لقد استفاد أردوغان من تجربة أستاذه نجم الدين أربكان، الذي انقلب على زعامته في ما بعد، واستوعب الدروس من الإخفاقات المتكررة للأحزاب التي أسسها أربكان في التسعينات من القرن الماضي، وأهم تلك الدروس أن النزعة الدينية وحدها، والإصطاف في الخطاب الإسلامي التقليدي، لن يأتي بنتيجة داخل تركيا وفي المشهد السياسي التركي، ما لم تكن في قلب الخطاب الديني نزعة قومية واضحة.

وقد فهم أردوغان جيدا كيفية التوليف بين النزعتين، فوظف النزعة القومية تجاه الداخل التركي، ووظف النزعة الدينية تجاه الخارج، في المحيط العربي. ويجمع القرار الأخير المتمثل في إلغاء المحكمة الإدارية العليا قرار مجلس الوزراء الصادر عام 1934 في عهد أتاتورك حول متحف آيا صوفيا بين النزعتين معا، فهو في جانب منه هدية إلى القوميين المتطرفين داخل تركيا، أنصار النزعة العثمانية، لكن انطلاقا من ميول علمانية لا تقاسم الخطاب الإسلامي أي من القواسم، ومنهم أنصار وأعضاء حزب الحركة القومية المخالفة مع العدالة والتنمية في الحكم.



**استفاد أردوغان من تجربة أستاذه نجم الدين أربكان واستوعب الدروس من الإخفاقات المتكررة للأحزاب التي أسسها في التسعينات من القرن الماضي وأهم تلك الدروس أن النزعة الدينية وحدها لن تأتي بنتيجة**

واضح أن أردوغان قد اختار التوقيت المناسب أيضا، بحيث تكون للقرار فائدة سياسية داخلية لا مجرد طلقة في الهواء، إذ تزامن القرار مع عدد من الاستقلالات داخل الحركة القومية في صفوف الراضين لاستمرار التحالف مع حزب العدالة والتنمية. أما من الجانب الآخر، فإن القرار يتوجه إلى الشارع العربي، الذي يراهن عليه أردوغان بشكل كبير كضياء مفتوح اليوم ودون قيادة عربية بارزة نتيجة الانقسامات الحاصلة، يدل على ذلك ما ورد على لسان أردوغان في خطابه بتلك المناسبة، بعد أن تم تحويل المتحف من يد وزارة الثقافة والسياحة ليوضع في يد وزارة الشؤون الدينية، عندما أثار موضوع القدس، واعتبر أن تحويل المتحف إلى مسجد سيكون الخطوة الأولى نحو استعادة القدس.

د. إدريس الكنبري  
كاتب مغربي

قد لا يكون من المفيد تكرار القول في الآثار الواقعية، السياسية بوجه خاص، لقرار تحويل متحف آيا صوفيا في إسطنبول التركية إلى مسجد، كما كان عليه الحال قبل تولي كمال أتاتورك السلطة واتخاذ قراره الشهير بتحويل المسجد إلى متحف، للمرة الأولى منذ قرابة خمسة قرون، في عهد محمد الثالث الملقب بالفاتح.

إن البصمة السياسية لمثل هذا القرار لا يمكن أن تخطئها العين، بل إن السياسة توجد في صلب القرار الذي يبدو في الظاهر، لرجل الشارع العربي البسيط، صادرا عن حمية دينية ورغبة في إحياء ماضٍ تولى.

فكما أن أتاتورك، قبل ستة وثمانين عاما، كان يريد بقراره التوجه إلى أوروبا والغرب لتكريس فصل الدين عن الدولة، وبناء الدولة الحديثة وفك الارتباط بين تركيا والعالم العربي، يريد أردوغان اليوم بقراره الجديد المتبر أن يعيد غرس تركيا في قلب العالم العربي عبر استجلاب المشاعر الدينية للمواطن البسيط والنخبة الدينية على مستوى الظاهر.

بينما، على الصعيد الاستراتيجي، توجد نوايا استعادة النزوع العثماني القديم، فواضح أن أردوغان يعيد إلى العرب اليوم نفس المنتج القديم الذي طرحوه وانقلبوا ضده، فقد رفض العرب النزعة القومية الطورانية الضيقة وثاروا عليها في بداية القرن الماضي، وفي بداية القرن الحالي يحاول أن يعيدها إليهم على شكل نزعة قومية عثمانية، لكنها في العمق طورانية مغلقة.

بيد أن الإستراتيجية السياسية والأيديولوجية لحزب العدالة والتنمية، التي وضعت معالمها المفصلة في السنوات الأولى لوصوله إلى الحكم عام 2002، ترتكز على عاملين حاسمين في تمكينه من النجاح الانتخابي الذي أحرزه في المحطات الانتخابية السابقة.

العامل الأول، هو العامل الديني، الذي سهل عليه جلب تأييد وتعاطف عدد كبير من المواطنين الأتراك ذوي الميول الدينية والصوفية بوجه خاص؛ فهؤلاء هم الذين لعبوا دور القود الذي حرك العربة في المرحلة الأولى من الحياة السياسية للحزب، وفتحوا له الطريق إلى الناس، بعد أن كان شبه مجهول من قبل الناس من قبل، وعندما أيقن في المحطة الانتخابية الثالثة أنه تمكن من الإمساك بزمام السلطة بإحكام، تخلّى عن حلفائه السابقين وشرع في التخلص منهم، وعلى رأس هؤلاء الحليف الأهم والأكبر، حركة "خدمة" لفتح الله غولن، ولعله بذلك أراد التخلص أيضا من ماضيه الإسلامي، والتوجه أكثر نحو تغليب جانب البراغماتية على حساب العقيدة، مثل أي حزب ديني تنتهي السياسة بامتصاصه.

أما العامل الثاني، فهو العامل القومي، وهو لا يقل تأثيرا عن العامل الديني. ذلك أن حزب العدالة والتنمية، بالرغم من مظهره وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق

وخطابه الإسلاميين، هو في العمق



## الحرب - الضرورة: على أعتاب نهاية المشروع الإخواني

العنصر السادس، هو الأرض. فأردوغان، حتى وإن كان قادرا على نقل عشرات الآلاف من المرتزقة، فهؤلاء لا يملكون الأرض، ولا يشعرون بها. الجندي الذي يحارب على أرضه، يعرفها ويتحسسها على نحو لا يستطيعه أي مرتزق. وهذا عامل حاسم، يجعل من رهان ميليشيات طرابلس على مرتزقة أردوغان، عملا يائسا، عالي الكلفة، قليل النفع.

العنصر السابع، هو أن ميليشيات طرابلس نفسها، جزء من المشكلة. فعلى الرغم من مرور خمس سنوات على قيام سلطتها، فقد عجزت عن أن تقيم نظاما يستحق اعتباره دولة. كما عجزت أن تبني جيشا أو مؤسسات. وظلت لا تجرؤ على مواجهة أي دعوة للانتخابات لأنها تعرف نتائجها سلفا، بل إنها خسرتها في الأساس عندما تم انتخاب مجلس النواب الحالي. هذا الواقع يجعلها هي نفسها قوة مرتزقة، وأردوغان نفسه يعاملها على هذا الأساس. إنها الحائض المائل الذي لا بد له أن يقع، في النهاية على رؤوس صانعيه.

ما الذي يجعل أي جدار واقفا؟ سؤال يجدر التأمل فيه. والجواب، هو ليس ثقل الحجارة ولا متانة الإسمنت في ما بينها، وإنما استقامته. والميليشيات في أي مكان، لا تبني دولة، لأنها تتنافى مع طبيعتها بالذات، ولأنها لا تستطيع أن تقيم أي جدار ويظل قائما. أهم من ذلك كله، هو أن الحرب، في ظل كل هذه المعطيات، سوف تكون بمثابة منعطف تاريخي يكفل التخلص من المشروع الإخواني كله، ويكفل ما فيه، وعلى طول المسافة من الدوحة إلى أنقرة إلى طرابلس.

انظر في النتائج، وسترى أن المشروع الأردوغاني المازوم، ليس مشروعا أحقق بحسب طبيعته، بل إنه مجبر على الحماقة، بسبب شدة حاجته إلى المال. وهذا ما يجعل الحرب ضرورة لا مفر منها.

ولقد حان الوقت للحائض الأعوج أن يقع على رؤوس أصحابه.

مصر تستطيع أن تهنا. فهي ليست مضطرة لأي شيء. ويمكنها أن تنتظر الحمقى حتى يتجاوزوا خطوطها الحمر.

يقول مثل أفريقي "إذا كان لديك عدو، فلا تقتله. اجلس على ضفة النهر وسترى جثته تأتي طافية". وجهة المشروع الإخواني التي تعفت باحلام أردوغان العثمانية، لا بد لها أن تأتي، بما صارت تحتاج إليه.

يلقى ما أصابه من جراح جراء المحاولة الانقلابية الفاشلة في 15 يوليو 2016، وجراء عمليات التطهير التي شنها أردوغان ضد قياداته ومؤسسته. العنصر الثالث، هو أن سياسات أردوغان حيال الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا تجعله مكروها من جميع هذه الأطراف. صحيح أن كلا منها يطمع بشيء من تركيا، إلا أن أردوغان يبتز هذا بما يمكن أن يعطيه لذلك، ما يوفر القناعة بأنه شخص غير مستقر، وأن طموحاته أكبر منه، وأنه يشكل تهديدا أكثر منه حليفا، حتى بالنسبة لحلف الأطلسي نفسه.

العنصر الرابع، هو أن أردوغان وحزبه المتشرد مكروها في الداخل أكثر من الخارج. أحدث الاستطلاعات تشير إلى ذلك بوضوح. كما أن هزائمه في الانتخابات المحلية في أنقرة وإسطنبول وديار بكر وعدد من المدن الكبرى الأخرى، تشير بوضوح أشد إلى أن أردوغان يسير على أرض لزجة، وأن حربا واسعة النطاق في ليبيا لن يمكنها، مهما كانت النتائج، أن تمنحه ما يامل به، بل إنها قد تشجع على محاكمته أو عزله، أو إجباره على قبول التوجه إلى انتخابات رئاسية مبكرة.

العنصر الخامس، هو أن أردوغان يتبنى مشروعا أيديولوجيا "اشكاليا" بالنسبة لأوروبا، وإرهايبيا بالنسبة للمنطقة، وفاشلا بالنسبة لتركيا نفسها، بحسب ما هو ملموس من نتائج اقتصادية وإستراتيجية وسياسية. وفي الواقع فإن هذه النتائج، وبعضها كارثي، هي ما دفع العديد من قيادات "حزب العدالة والتنمية" إلى الانشقاق عليه والانتقال إلى صفوف المعارضة الاستبدادي الذي يتبعه أردوغان حيال العديد من القضايا الحيوية.

لانقرة بالدرجة الأولى، ولكن حتى ولو كان موجها للجميع على حد سواء، فإن جانبا من ذلك "الجميع" ليس مضطرا لبدء أي معركة. المضطر هو أنقرة، ويقع عليها وحدها أن تعيد النظر في كل الحسابات. وبحكم الحمق الذي تملبه الحاجة، فإنها لن تجد نفسها إلا أمام خيار وحيد: أن تمضي بالعدوان قداما. وهذا شيء رائع، وسيكون عملا تاريخيا لو أنه حصل بالفعل.

المثل. وميليشيات أنقرة في طرابلس هي صاحبة الحاجة، إنها تريد المال. فمن دونه لا تستطيع أن تدفع فاتورة الدعم لانقرة. كما أن أنقرة نفسها تعرف أن اتفاقاتها الاقتصادية والأمنية مع حكومة فايز السراج لا قيمة فيها ما لم يتوفر لها المال.

موانئ تصدير النفط، وأباره التي تقع تحت سيطرة الجيش الوطني الليبي، هي الجائزة التي تريد ميليشيات أنقرة أن تفوز بها. ومن دونها فإن كل شيء سوف يتفكك وينهار. فأنقرة حتى وإن كانت تلتفت الكثير من المال من الدوحة من أجل دعم عملياتها العسكرية في ليبيا، إلا أنها في وضع اقتصادي لا يزال صعبا. ولا تستطيع أن تحارب إلا نقدا. هذا هو الأساس في تعاملاتها مع حكومة السراج أصلا: الدعم مقابل الدفع نقدا. ومن دون نطف، فإن الشركات التركية لن تفوز إلا بصفحة على الوجه. والدفع نقدا، مطلوب أيضا لأن أنقرة تدرك سلفا أنها تخوض مغامرة قد لا تنتهي بمحمود العواقب.

هذا يعني أن الجائزة المطلوب الفوز بها، يمكن أن تكون هي ذاتها المقتل. الكل يعرف أن التحذير الأوروبي الذي صدر عن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي، يفرض عقوبات على "كل الأطراف الخارجية التي تنتهك الحظر الكامل للسلاح"، كان موجها

علي الصراف  
كاتب عراقي

تستطيع مصر أن تهنا وأن تنتظر. لا شيء يبهر القلق لديها، بل لا قبل أن تبداه أنقرة، ولكنها تدر في الوقت نفسه أن الحاصل حاصل في نهاية المطاف، وأنها تستعد له. "صاحب الحاجة، أحقق"، يقول المثل. وميليشيات أنقرة في طرابلس هي صاحبة الحاجة، إنها تريد المال. فمن دونه لا تستطيع أن تدفع فاتورة الدعم لانقرة. كما أن أنقرة نفسها تعرف أن اتفاقاتها الاقتصادية والأمنية مع حكومة فايز السراج لا قيمة فيها ما لم يتوفر لها المال.

موانئ تصدير النفط، وأباره التي تقع تحت سيطرة الجيش الوطني الليبي، هي الجائزة التي تريد ميليشيات أنقرة أن تفوز بها. ومن دونها فإن كل شيء سوف يتفكك وينهار. فأنقرة حتى وإن كانت تلتفت الكثير من المال من الدوحة من أجل دعم عملياتها العسكرية في ليبيا، إلا أنها في وضع اقتصادي لا يزال صعبا. ولا تستطيع أن تحارب إلا نقدا. هذا هو الأساس في تعاملاتها مع حكومة السراج أصلا: الدعم مقابل الدفع نقدا. ومن دون نطف، فإن الشركات التركية لن تفوز إلا بصفحة على الوجه. والدفع نقدا، مطلوب أيضا لأن أنقرة تدرك سلفا أنها تخوض مغامرة قد لا تنتهي بمحمود العواقب.

هذا يعني أن الجائزة المطلوب الفوز بها، يمكن أن تكون هي ذاتها المقتل. الكل يعرف أن التحذير الأوروبي الذي صدر عن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي، يفرض عقوبات على "كل الأطراف الخارجية التي تنتهك الحظر الكامل للسلاح"، كان موجها

